

مستقبل الصحافة الورقية في ظل تطورات الاعلام الجديد

وجدي دمرجي وسيلة

طالبة دكتوراه اتصال وسائل الإعلام والمجتمع بجامعة مستغانم

مقدمة:

احتلت الصحيفة المطبوعة مكانة مهمة في عملية الاتصال لفترة طويلة و أدت أدوارا مختلفة في تطور المجتمعات ، و إذا كانت تشترك مع بقية وسائل الاتصال الجماهيري في العديد من الوظائف و الأهداف فإنها ظلت متميزة، وقد شهد مطلع القرن الواحد والعشرين تطورا مذهلا لتكنولوجيات المعلومات بفضل الدمج الحاصل بين اجهزة الكمبيوتر والبرمجيات وشبكات الاتصال ،وامام كل هذه التطورات سارعت الصحف المطبوعة للانضمام الى عالم التكنولوجيا ، حيث حجزت لها مكانا عبر الشبكة العالمية لتوسع بذلك من اهتماماتها ومن جمهورها وتستفيد من احدث تقنيات النشر الالكتروني المتطورة ، فخلقت لها مجالا على شاشات الحاسوب والشبكات الدولية ، لتثمر بذلك المولود الاعلامي- الصحافة الالكترونية- الذي زاحم الصحافة التقليدية لدرجة جعلت الكثيرين يختلفون في وجهات النظر حول مستقبلها، فما مدى تأثير الصحافة الالكترونية على شبكة الانترنت كحدث ما توصلت اليه التكنولوجيا الحديثة على مقروئية الصحف الورقية؟.

حاول العديد من الباحثين في دراستهم للظاهرة الاتصالية الجديدة (الصحافة الالكترونية) باعتبارها منشور إلكتروني دوري يحتوي على الأحداث الجارية، سواء المرتبطة بموضوعات عامة، أو موضوعات ذات طبيعة خاصة، ويتم قراءتها من خلال جهاز الكمبيوتر، وغالبا ما تكون متاحة عبر شبكة الأنترنت⁽¹⁾، وهي تشمل ايضا الصحف المطبوعة التي يتم اصدارها ونشرها على شبكة الانترنت وقواعد البيانات⁽²⁾، التفرقة بينها وبين نظيرتها الورقية، بناء على عناصر الاتصال، فبالنسبة للقائم بالاتصال في الصحافة الالكترونية يجب عليه ان يلم بكيفيات استخدام الكمبيوتر وجميع البرامج المتطورة المتعلقة باستخدام شبكة الانترنت، اما المحرر في الصحيفة المطبوعة فيكفيه فقط التحرير على الورقة، وليس بالضرورة معرفته استخدام الكمبيوتر والانترنت، اما الرسالة بصفقتها عنصرا مهما في العملية الاتصالية، فان مضمونها لا يختلف كثيرا في الصحافة الالكترونية، لكن الفرق يكمن في سهولة التعامل معها والوصول اليها كذا حفظها وتخزينها، وذلك كونها غير جامدة مدعومة بصور ثابتة ومتحركة وحتى الصوت والرسوم المتحركة، فيما تبقى نصية جامدة في الجريدة المطبوعة⁽³⁾.

والشكل الذي تصدر فيه الصحيفة التقليدية بصفتها الوظيفة التي تؤديها في المجتمع الحديث أي كونها رسالة تستهدف خدمة المجتمع و الإنسان، والتي تتصل بطبيعة الواقع الاجتماعي و الاقتصادي في المجتمع الذي تصدر فيه الصحيفة، و نوعية النظام السياسي و الاجتماعي القائم⁽⁴⁾ فيكون في صيغة مطبوعة على الورق على شكل نصوص وصور ثابتة فقط، اما الصحافة الالكترونية فتعتمد على تقنية اخراج متطورة، باعتمادها على مستويات عديدة، وفيما يتعلق بالمستقبل كطرف اساسي في العملية الاتصالية، فان المعطيات المتاحة في الصحيفة الالكترونية بشكلها المتطور تمكن من تخطي مشكلة القراءة، فبامكان المتلقي الاستعانة بتقنيات جهاز الحاسوب لقراءة مضمون المادة الصحفية داخل النسخة الالكترونية بمجرد استخدام لوحة المفاتيح⁽⁵⁾، زيادة على ذلك فان التغذية العكسية في الصحيفة الالكترونية تكون مرئية منقولة بالصوت والصورة، ومباشرة بين المرسل والمستقبل، عكس المطبوعة التي يتم فيها فقط نقل المعلومة من المصدر الى الجمهور.

بالاضافة الى خاصية التفاعلية بصفتها اهم الفروق بين الوصيلتين، فالصحافة الالكترونية تسمح بمستوى مسبق من التفاعل، الذي يبدأ بالبحث في مجموعة من النصوص والاختيار فيما بينها، وينتهي بإمكانية توجيه الاسئلة المباشرة والفورية، اي انها تفتح المجالات للحوار والمناقشات للقاري⁽⁶⁾.

الصحف الالكترونية بديلا عن الصحف الورقية :

عادة ما تثار عدة مناقشات وقضايا كلما ظهرت وسيلة إعلامية جديدة، ففي مثل هذه الأحوال غالبا ما يكون هناك شك في صمود القديم أمام الجديد، ومع انتشار مفاهيم النشر الالكتروني بأنواعه المختلفة أثير قلق واسع النطاق بشأن الصحافة المطبوعة، ويقوم هذا الاتجاه على أساس أن الصحف الالكترونية تمثل بديلا مهما عن الصحف الورقية، وسوف تحل محلها⁽⁷⁾، وهناك عدة مبررات من يؤيد هذا الاتجاه، حيث تشهد مجمل البلدان أزمات الصحافة المكتوبة الورقية التي تعاني من تراجع ملحوظ في التوزيع، وفي حصص الاشهار وفي اعراض القراء الشباب عنها (نسبة قراءة الصحف تقل بمقدار الضعف عند أولئك الذين تقل أعمارهم عن ثلاثين عاما) أو في تراجع أهميتها أمام الانترنت، الشبكة التي تسرق جماهير هذه الوسائل مجتمعة أي انها تسرق جمهور الصحافة والهاتف و التلفزيون، ومنذ سنوات وليست بعيدة كان يسود خوف قوامه إن الانترنت تحضر قبل الصحافة المكتوبة⁽⁸⁾.

فالصحافة الورقية المطبوعة تواجه عدة تحديات خطيرة من أكثرها إلحاحا التحدي الاقتصادي المتمثل في ارتفاع أسعار الورق والتجهيزات الالكترونية على شبكات المعلومات، والتحدي البيئي المتمثل في دعاة الحفاظ على البيئة، تحدي المنافسة الإعلامية والاتصالية من باقي الوسائل الأخرى وكذلك تحدي المصادقية. وفي هذا الصدد فقد نظر إلى هذه الخدمة في البداية كخدمة مكملة لما تقدمه النسخة المطبوعة، ثم أثير نقاش كبير حول

فكرة ان تكون الصحيفة الالكترونية بديلا للصحيفة المطبوعة.

فبالرغم من ان الجريدة مازال لها بريق خاص لأسباب تاريخية وثقافية عند الأجيال الحالية ، لكن يثار سؤال حول ما إذا كان هذا البريق سيستمر مع أجيال الشباب ؟ والدراسات الميدانية على وسائل الاتصال في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ، أكدت على أن الجريدة اليومية لم تعد الوسيلة المفضلة لديهم للحصول على المعلومات ، صباح كل يوم مثلما كان في الماضي⁽⁹⁾ ، إضافة إلى ذلك ارتفاع تكاليف الإنتاج الطباعي وأسعار الورق.

وقد انتقد " تيرتيرنر " رجل الأعمال الأمريكي ومالك شبكة CNN الصحافة الورقية ، وأشار إلى أن أيامها كحبر وورق باتت معدودة ، ويرى انصدار الصحافة الالكترونية وبان العالم سيشهد آخر صحيفة ورقية في عام 2018 ، نظرا لان السمات الأساسية للصحف الالكترونية تفوق السمات الأساسية للمطبوعة ، وتتمثل هذه السمات في الاستفادة من ثروة المعلومات ، من خلال الأنظمة الرقمية التي تعمل في ظلها الصحافة الالكترونية والنشر كذلك تقنية النص الفائق حيث تسمح لقرائها بالتعليق فيما وراء النص ، والانتقال من موقع لأخر داخل الشبكة ، بالإضافة الى الميولتيميديا* والانتقائية التي تتيح للقارئ اختيار المواد الصحفية التي تتفق واهتماماته ، وحاجته بدرجة اكبر وأوسع مما هو متاح في الصحيفة الورقية. زيادة على ميزة الحالية والآنية التي تتصف بها مضامينها⁽¹⁰⁾ ، فالصحافة الالكترونية هي وسيلة إتصال متدفقة ومتحركة لا تعرف موعدا للتوزيع أو القراءة.

الصحف الإلكترونية منافسا للصحف المطبوعة :

يقوم أصحاب هذا الإتجاه على أن الصحف الإلكترونية بالرغم من الإعتراف بكل مميزاتها فإنها لا تشكل بديلا عن وسائل الإتصال التقليدية خاصة الصحف المطبوعة ، ويتبنى هذا الإتجاه أكاديميون ، وصحفيون يعملون في الصحف المطبوعة ، وهناك كثير من المبررات تدعم موقفهم منها ، فهم يرون ان الصحافة الإلكترونية ، تحتاج إل سنوات عديدة حتى يصبح لها تأثير يماثل الصحافة المطبوعة ، ويرفضون تماما المقارنة بينها وبين الصحافة الورقية ، لأن هذه الأخيرة هي الأقوى ، والأكثر تأثيرا ، لأن الأنترنت لا تزال غير متاحة للجميع ، والمعوقات أمام الصحافة الإلكترونية كثيرة ومتعددة ، كما أن الصحف الإلكترونية تعتمد على الصحف المطبوعة في الإعلان عنها ، والوصول إلى المستفيدين الجدد⁽¹¹⁾ ، إضافة الى عدم وجود بنية معلوماتية حقيقية في اي مكان في العالم ، وان المواطن يثق أكثر بالخبر المنشور في الصحيفة الورقية ، حتى ولو كانت محدودة التوزيع كما ان الصحافة الورقية هي الأكثر تأثيرا ، وتأثرا بين وسائل الإعلام ، وخاصة بين فئة المتعلمين فبالرغم من ثورة المعلومات ، والانفجار الإعلامي الذي يعيشه العالم ، فإن الصحف اليومية هي التي تحفز المتعلمين على المشاركة في الحياة المدنية ، وليس جهاز التلفزيون وبرامجه ، أو الأنترنت ومعلوماته⁽¹²⁾ ، حسب دراسة أجرتها جامعة أوهايو - الأنترنت ليست بإستطاعة كل الناس إستخدامه ، أو إقتنائه

بالإضافة إلى أن الإنترنت يزيد من انتشار الصحافة، والصحيفة التي تقرأ عبر الإنترنت هي الصحيفة الورقية، وتظل القراءة عبر الورق أسهل، وأيسر، وأكثر عمقا من الإنترنت. وبذلك ستبقى الصحافة التقليدية لها دورها الاجتماعي والثقافي طالما تمكنت بتطوير نفسها بصورة مستمرة.

وفي الإطار نفسه يؤكد بعض الخبراء والأكاديميين أن الصحافة الإلكترونية لن تحل محل الصحافة التقليدية المطبوعة، وذلك لاعتبار أن تاريخ وسائل الاتصال يؤكد أنه ما من وسيلة جديدة استطاعت القضاء على الوسائل السابقة عليها، وإنما تعايشت معها في ظل خصوصية كل واحدة، والصحافة المطبوعة يمكن أن تعظم إستفادتها من الإنترنت، وتجعل من هذه الشبكة قناة للإرتقاء بالعمل الصحفي، وقناة للترويج، والوصول إلى أسواق جديدة من خلال إقامة مواقع لها على الشبكة.

ولازالت الدراسات في هذا المجال تؤكد أن استخدام الإنترنت لم يؤثر بدرجة ملموسة على معدلات قراءة الصحف المطبوعة في مختلف أنحاء العالم، مثلا الصحف المطبوعة الإيطالية لا زالت تلقى راجا كبيرا رغم تضاعف استخدام الإنترنت في إيطاليا بمعدل (23) مرة في السنوات الأخيرة⁽¹³⁾.

الصحف الإلكترونية مكمل للصحف المكتوبة :

إنه في تاريخ وسائل الاتصال منذ نشأتها وحتى الآن لم تلغ وسيلة اتصال متطورة الوسيلة القديمة بل تستوعبها وتطورها، وينتج عن تفاعل الوسيّتين وسيلة جديدة، تتيح إمكانيات جديدة ومتعددة للجمهور في الاتصال وتبادل المعلومات. وشبكة الانترنت باعتبارها الطليعة في عصر وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، والتي تتميز بمزايا عظيمة، لكن ماهي إلا إحدى عناصر التكنولوجيا الحديثة المساهمة في الإزدهار والتطور⁽¹⁴⁾، وإن الآلاف من الخمسة ملايين موقع على الشبكة الموجودة، قد تم تكوينها بواسطة الإعلام التقليدي، وأن المؤسسات الإعلامية التقليدية قد تحولت إلى الشبكة لإنشاء شبكات داخلية ثرية في المعلومات للإستخدام في داخل مكاتبها، والعديد منها يستطيع الوصول إلى مجموعات من السجلات العامة أو المعلومات الخلفية بالنسبة لعدة موضوعات⁽¹⁵⁾.

يذكر "جيرارد تيري" في تقرير له إلى رئيس وزراء فرنسا عن طريق الإعلام السريع، أن الصحافة المكتوبة الورقية، وهي من أهم وأقدم مصدر للأخبار والمعلومات سوف تنتفع إنتفاعا متزايدا بالشبكات الجديدة، طالما تكون حوت بالكامل عملياتها الإنتاجية إلى أرقام، وفي حين أن الشبكات الإلكترونية الجديدة تنمي المنافسة التي تعمل بمثابة حافز إقتصادي، فإنها أيضا تتيح للصحافة فرصة كبيرة، بحيث تزيد من تنوع محتوياتها وتنمية خدمات مستحدثة⁽¹⁶⁾، وأنه في شأن بقاء الصحافة التقليدية بعد ظهور الجريدة الإلكترونية فإنه أمر مضمون، لأن الواقع قد أثبت هذا مع جل الوسائل التي ظهرت بعد الصحافة المكتوبة، والتي لم تقض على بريقها وتميزها، لأنه لكل وسيلة

جاذبيتها وسحرها وإمكانياتها التي قد تحول دون الإقلاع تماما عن إستخدامها، فكل وسيلة يمكنها البقاء إلى جانب غيرها من الوسائل، بشرط أن تكون قادرة على التجديد، والابداع، والتمتع بالجرأة والخيال اللازمين لمنافسة سواها من الوسائل⁽¹⁷⁾، وبشأن الشك في صمود الصحيفة المطبوعة أمام الصحيفة الإلكترونية، فإن الخبراء والإعلاميين يجيبون أن الصحيفة الإلكترونية لن تقضي على الصحافة الورقية، لأنه ليست المرة الأولى التي تواجه فيها الصحافة التقليدية مثل هذه التحديات، فمن قبل أعلن الكثيرون عن موت الصحافة مع بدء الإرسال التلفزيوني، ورغم ذلك إزدهرت في وجوده إزدهارا لم تشهد من قبل، حتى أن عدد الصحف التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ في يوم من الأيام، 1550 صحيفة، وفي هذا الموت الوشيك للصحافة التقليدية قد حل محله إدراك الناس الذين يعانون من كثرة المعلومات والفرق فيها بأنهم سيتعطشون للحقيقة، وإن الجمهور يحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى جامعين جدد ومهرة ليفرزوا كل هذا الخلط والفوضى في مجتمع المعلومات....

يرى هذا الإتجاه أن العلاقة بين الصحيفة الإلكترونية والورقية علاقة تكاملية، وهم لا يشاطرون تلك المواقف التي ترى بأن عهد الصحافة التقليدية آيل للزوال، ويؤكدون على أن المواقع الإلكترونية ما هي إلا جزءا من العملية الصحفية الحديثة، ولا يعقل أن توزع صحيفة مكتوبة اليوم دون أن يكون لها موقعا إلكترونيا يستجيب للعادات الجديدة في مجال القراءة.

تجربة الصحافة الإلكترونية في الجزائر :

رغم أن الجزائر كانت متأخرة نوعا ما في مجال الصحافة الإلكترونية، مقارنة بالدول العربية والأوروبية، إلا أن تجربة الصحافة المكتوبة مع الانترنت لأول مرة كانت نهاية سنة⁽¹⁸⁾ 1997، حيث كانت جريدة الوطن باللغة الفرنسية السباقة إلى اعتناق النشر الإلكتروني، وإنشاء أول موقع لها على الويب، وهذا بعد إلغاء الاحتكار على مركز البحث العلمي والتقني أمام المزودين الخواص للانترنت، حيث يتطلب الحصول على موقع بشبكة الانترنت من مسؤول أي جريدة سجلا تجاريا لكل هيئة ذات طابع تجاري ووجود مقر مركزي أو مكتب تنسيق بالجزائر مع دفع اشتراك مالي كل سنة بقيمة 1000 دج⁽¹⁹⁾.

ولجات الصحف المكتوبة الجزائرية إلى إنشاء مواقع الكترونية لها، مع المحافظة على النسخة الورقية، لغرض تحقيق رواج أكبر للجريدة، وللحاق بركب التطور التكنولوجي في مجال النشر الإلكتروني، حيث تلت جريدة El Watan جريدة Liberté في جانفي 1998، فجريدة اليوم باللغة العربية في فيفري 1998، وتليها جريدة الخبر باللغة العربية وهي من بين أكبر الجرائد توزيعا في الجزائر⁽²⁰⁾،... الخ، وبهذا أصبح لكل صحيفة مكتوبة بالجزائر موقعا الكترونيا على الشبكة، أما صحيفة Algeria Interface فقد كانت أول صحيفة الكترونية التي ليس لها أصل

ورقي، والتي أسسها أحد الإعلاميين الجزائريين عام 1996، ثم انطلقت في العمل في نوفمبر 1999 وكان شعارها نقل الاخبار بشكل موضوعي والمحافظة على المبادئ الأساسية لحرية التعبير والدفاع عن حقوق الإنسان وتعزيز القيم الديمقراطية⁽²¹⁾.

وفي الأخير نخلص الى ان هناك اختلاف واضح بين الباحثين من حيث تقييمهم لاداء وسائل الاعلام التقليدية والحديثة، وفي اطار تحديدهم لطبيعة وحجم التأثيرات التي تمارسها الصحافة الرقمية التفاعلية على مقروئية واستمرارية الصحافة المكتوبة مستنديين في ذلك على التبريرات المختلفة لتفسير هذه النتائج التي توصلوا اليها من خلال الابحاث، التي تباينت منها ما يؤكد فعالية الصحافة الالكترونية في السيطرة على اتجاهات الافراد وفي قدرتها على جلبهم واستقطابهم، واخرى ترى ان هذه الوسيلة الالكترونية تحتاج الى سنوات عديدة حتى تبلغ تأثير الصحافة المكتوبة، وفي مقابل ذلك دراسات اثبتت ان مستقبل الصحافة الورقية مضمون، وما الصحافة الالكترونية الا مكمل للمكتوبة. فإذا كانت الصحافة الإلكترونية تختلف عن الوسائل الإعلامية الأخرى في العديد من الأمور الجوهرية فإن القاسم المشترك بين إهتماماتها، يتمثل في المضامين التي تعتبر مؤشر نجاح الأنباء، فسيظل دائما هو صاحب الأهمية الأولى⁽²²⁾، وعليه فإن ما ينبغي ان يميز الجرائد الإلكترونية في الجزائر هو تقديم أكثر المعلومات شمولاً، وأفضل الوسائل للوصول إليها، وهذا كونها تعد من الوسائل الأكثر إستفادة من الحدود الجغرافية للعالم بأسره، وباتت تعني القمة في التعبير عن حرية الرأي، بعيداً عن مقص الرقيب وقوانين المطبوعات والنشر.

الإحالات والهوامش:

- 1 - جون ميرل، رالف لويشتاين، الاعلام وسيلة ورسالة، (تر) ساعد خضر العرابي الجارثي، الرياض، ص 70.
 - 2 - محمود علم الدين، الصحافة في عصر المعلومات، القاهرة، ط1، العربي للنشر والتوزيع، 2000، ص 271
 - 3 - زيد منير سليمان، الصحافة الالكترونية، عمان ط1، دار اسامة للنشر، 2009، ص 55
 - 4 - نجوى عبد السلام: تجربة الصحافة الالكترونية المصرية والعربية، المجلة العلمية لبحوث الاعلام، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ديسمبر 1998، ص 204.
 - 5 - المرجع نفسه، ص 57
 - 6 - ماجد سالم تريبان، الانترنت والصحافة الالكترونية، ط1، مصر، الدار المصرية اللبنانية، 2008، ص 129
 - 7 - المرجع نفسه، ص 280
 - 8 - Sophie Boukharie, internet ,le grand bouleversement de paysage médiatique culture et société . rfi,n 199,4 fevrier 1998 p2.
 - 9 - مروة محمد كمال الدين، مستقبل طباعة الصحف العربية رقمياً ط1، دون ذكر مكان النشر، الدار المصرية اللبنانية، ماي 2007، ص 274.
- * تقنية الوسائط الفائقة، تتيح هذه التقنية تقديم الاخبار، والمعلومات بأشكال ووسائل عديدة من صوت وصورة.
- 10- Yannick Estienne, le journalisme après l' internet ,preface d erik neveu ,l harmattan :communication et civilisation 2007,p 140.
- 11 - ماجد سالم تريبان، مرجع سبق ذكره، ص 11

- 12 - محمد عبد الهادي ، تكنولوجيا المعلومات في المكتبات ، ومراكز المعلومات العربية بين الواقع والمستقبل ، وقائع المؤتمر العربي الثامن للمعلومات ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ص 309
- 13 - سمير محمود ، الحاسب الالى وتكنولوجيا صناعة الصحف ، دون ذكر مكان النشر ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، 1997 ، ص 29
- 14 - محمد تمبور عبد الحسيب ، تكنولوجيا ومستقبل طباعة الصحف ، القاهرة ، مجلة الدراسات الاعلامية ، 1990 ، ص 59
- 15 - سمير محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص 15
- 16 - جون ماكسويل هاملتون ، جورج كريسكي ، (تر) احمد محمود ، صناعة الخبر في كواليس الصحف الامريكية ، ط 2 ، دون ذكر مكان النشر ، دار الشروق 2010 ، ص 10.
- 17 - امنة نبيح ، المدونات العربية الالكترونية بين التعبير الحر والصحافة البديلة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال ، 2007 ، 2008 ، ص 69.
- 18 - يمينة بلعالي ، الصحافة الالكترونية في الجزائر بين تحدي الواقع والتطلع نحو المستقبل ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر ، 2006 ص 148 .
- 19 - نورالدين تواتي ، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية في الجزائر ، ط 1 ، دون ذكر مكان النشر ، دار الخلدونية ، 2008 ، ص 32
- 20 - شريف درويش اللبان ، تكنولوجيا النشر الصحفي ، الاتجاهات الحديثة ، ط 1 ، دون ذكر مكان النشر ، الدار المصرية اللبنانية ، 2001 ، ص 126.
- 21 - نورالدين تواتي ، مرجع سبق ذكره ، ص 126.
- 22 - فرانك كليش ، ثورة الانفوميديا ، الوسائط المتعددة وكيف تغير عالمنا وحياتك؟ ، (تر) حسام الدين زكرياء ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 253 ، يناير 2000 ، ص 407.